

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عِبَادُ الرَّحْمَنِ فِي سُورَةِ الْفُرْقَانِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا، وَوَعَدَ عِبَادَ الرَّحْمَنِ جَنَّةَ الْخُلْدِ جَزَاءً وَمَصِيرًا، أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ بِمَا هُوَ لَهُ أَهْلٌ مِنَ الْحَمْدِ وَأُنْتِي عَلَيْهِ، وَأُؤْمِنُ بِهِ وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَكَفَى بِهِ هَادِيًا وَنَصِيرًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ رَبُّهُ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الذَّاكِرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا، وَرَضِيَ اللَّهُ عَنِ التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

إِذَا تَامَلْتُمْ سُورَةَ الْفُرْقَانِ، وَمَا جَاءَ فِيهَا مِنْ خَيْرٍ بَيَانٍ؛ وَجَدْتُمْ أَنَّ مِمَّا احْتَضَنْتَهُ وَتَضَمَّنْتَهُ فِي خَتَامِهَا لَوْحَةَ قُرْآنِيَّةً بَدِيعَةً، رُسِمَتْ فِيهَا شَخْصِيَّةُ عِبَادِ الرَّحْمَنِ السَّوِيَّةِ، وَسَطَّرَتْ فِيهَا صِفَاتُهُمُ الْخُلُقِيَّةَ، فَهَلَّا تَجَمَّلْتُمْ بِصِفَاتِهِمُ النَّبِيلَةَ، وَتَحَلَّيْتُمْ بِأَخْلَاقِهِمُ الْجَمِيلَةَ، لِنَتَّالُوا مَحَبَّةً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا، وَرَحْمَةً وَغُفْرَانًا، فَتَحَطُّوا بِمَنَازِلِ سَنِيَّةٍ، وَأَمَاكِنَ عَلِيَّةٍ، وَغُرَفٍ بَهِيَّةٍ، فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ، قُطُوفُهَا دَانِيَّةٌ، فَهَذَا مَا أَعَدَّهُ اللَّهُ لِعِبَادِ الرَّحْمَنِ مِنْ جَزَاءٍ وَتَكْرِيمٍ، وَثَوَابٍ عَظِيمٍ، عِلَاوَةً عَلَى مَا شَرَّفَهُمْ بِهِ مِنَ الْإِنْتِسَابِ إِلَيْهِ، حِينَ آمَنُوا بِهِ وَاعْتَمَدُوا عَلَيْهِ، وَاسْتَمِعُوا - عِبَادَ اللَّهِ - إِلَى مَا أَعَدَّهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُؤُلَاءِ الْأَخْيَارِ قَبْلَ أَنْ تَعْرِفُوا صِفَاتِهِمْ؛ لِيَكُونَ ذَلِكَ حَافِزًا لَكُمْ إِلَى الْإِتِّصَافِ بِهَا؛ حَتَّى لَا تَفُوتُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ هَذَا التَّكْرِيمَ مِنَ الرَّبِّ الْكَرِيمِ، يَقُولُ تَعَالَى مُشِيرًا إِلَيْهِمْ بِالْإِشَارَةِ الدَّالَّةِ عَلَى بُعْدِ مَكَانَتِهِمْ، وَرَفْعَةِ مَنْزِلَتِهِمْ، وَعُلُوِّ مَقَامِهِمْ: ﴿أُولَئِكَ يُجْرَبُونَ الْعُغْرَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيَلْقَوْنَ فِيهَا كَبًّا وَسَلَامًا، خَلِيدِينَ فِيهَا حَسَنَتٌ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ (١)، هَا قَدْ عَرَفْتُمْ كَيْفَ يُسْتَقْبَلُ هَؤُلَاءِ الْكِرَامُ، بِمَا يَلِيْقُ بِهِمْ مِنْ إِعْزَازٍ وَإِكْرَامٍ، إِنَّهُمْ فِي غُرْفِهِمْ فِي دَارِ السَّلَامِ، تَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ بِالتَّحِيَّةِ

وَالسَّلَامِ، لَقَدْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاسْتَقَامُوا، وَهَاهُمْ يَتَمَتَّعُونَ بِالْعَطَاءِ الْإِلَهِيِّ حَيْثُ أَقَامُوا، أَمَا وَقَدْ عَرَفْتُمْ مَا أَعَدَّ اللَّهُ لِعِبَادِ الرَّحْمَنِ؛ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ تَعْرِفُوا مَا حَلَّاهُمْ اللَّهُ بِهِ مِنْ صِفَاتٍ، وَمَا جَمَّلَهُمْ بِهِ مِنْ سِمَاتٍ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ:

أَوَّلُ صِفَاتِ عِبَادِ الرَّحْمَنِ التَّوَاضُّعُ الَّذِي يَظْهَرُ فِي هَيْئَتِهِمْ وَمَشِيَّتِهِمْ، وَيَبْدُو كَذَلِكَ فِي تَرْفُعِهِمْ عَنِ الانشغال بالردِّ عَلَى الْجَهَّالِ وَسَفَاهَتِهِمْ، فَكَيْفِيَّةِ الْمَشْيِ وَصِفَتِهِ قِيَمَةٌ وَاعْتِبَارٌ؛ لِأَنَّهَا تُعَبِّرُ عَنِ الشَّخْصِيَّةِ وَدَرَجَةِ مَا عِنْدَهَا مِنْ احْتِرَامٍ وَوَقَارٍ، فَعِبَادُ الرَّحْمَنِ يَمْشُونَ بِتَوَاضُّعٍ، لَا يَتَرَفَّعُ وَاسْتِكْبَارٍ، إِنَّهَا مَشِيَّةٌ تَتَّسِمُ بِالْقَصْدِ وَالْإِعْتِدَالِ، فَلَا ضَعْفَ وَلَا تَمَاوُتَ وَلَا زَهْوَ فِيهَا وَلَا اخْتِيَالَ، وَتَوَاضُّعُهُمْ هَذَا يُنَزِّهُهُمْ عَنِ سَفَاسِفِ الْأُمُورِ، وَمِنْ ثَمَّ فَهْمٌ لَا يُضَيِّعُونَ أَوْقَاتَهُمْ سُدَى فِي الرَّدِّ بِالْمَثَلِ عَلَى جَهْلِ الْجُهْلَاءِ، وَسَفَاهَةِ السُّفَهَاءِ، لِحَرِصِهِمْ عَلَى الْأَلَّا تُلَوَّثَ أَلْسِنَتُهُمْ بَلْغُو الْكَلَامِ، فَمَنْهَجُهُمْ دَائِمًا الْعَفْوُ وَالصَّفْحُ وَالسَّلَامُ، يَقُولُ تَعَالَى:

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾^(١)، وَقَدْ جَاءَ فِي صِفَةِ الرَّسُولِ ﷺ: ((أَنَّهُ لَا تَزِيدُهُ شِدَّةُ الْجَهْلِ عَلَيْهِ إِلَّا حِلْمًا))، وَإِذَا كَانَتِ الْآيَةُ الْأُولَى قَدْ حَدَّثْنَا عَنْ حَالِ عِبَادِ الرَّحْمَنِ فِي أَنْفُسِهِمْ، وَحَالِهِمْ مَعَ غَيْرِهِمْ مِمَّنْ جَهَلَ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّ الْآيَةَ الَّتِي بَعْدَهَا تُحَدِّثُنَا عَنْ حَالِهِمْ مَعَ رَبِّهِمْ، وَيَتَجَلَّى حَالُهُمْ هَذَا فِي جُنْحِ اللَّيْلِ حِينَ يُرْخِي اللَّيْلُ سُدُولَهُ، فَحَيْثُ النَّاسُ نِيَامٌ، فَهَؤُلَاءِ حَالُهُمُ السُّجُودُ وَالرُّكُوعُ وَالْقِيَامُ، النَّاسُ نَائِمُونَ، وَهَؤُلَاءِ سَاجِدُونَ قَائِمُونَ، وَهُمْ حِينَ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ لَا يَفْعَلُونَهُ طَلَبًا لِمَرْضَاةِ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، وَلَا ابْتِغَاءَ مَنْفَعَةٍ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ، بَلْ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ طَاعَةً لِرَبِّهِمُ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ، وَطَمَعًا فِي مَثُوبَتِهِ وَدُخُولِ جَنَّتِهِ، وَقَدْ ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ الْجَنَّةَ فَقَالَ: ((إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا))، فَقَالَ أَبُو مَالِكٍ الْأَشْعَرِيُّ: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: ((لِمَنْ أَطَابَ الْكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَبَاتَ قَائِمًا وَالنَّاسُ نِيَامًا))، وَاسْتَمِعُوا - عِبَادَ اللَّهِ - إِلَى وَصْفِهِمْ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ

لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا^(١)، وَهُمْ رَغَمَ مَبِيتِهِمْ عَلَى هَذِهِ الْهَيْئَةِ الدَّالَّةِ عَلَى الْخُضُوعِ، وَالطَّاعَةِ وَالْخُشُوعِ؛ يَسْتَقِلُّونَ عِبَادَتَهُمْ، وَعَمَلَهُمْ وَطَاعَتَهُمْ، وَلَا يَرُونَ أَنَّ فِيمَا يَقُومُونَ بِهِ مِنْ صَلَاةٍ وَاسْتِغْفَارٍ؛ ضَمَانًا لَهُمْ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، لِذَلِكَ يَتَضَرَّعُونَ إِلَى رَبِّهِمْ أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُمْ عَذَابَهَا؛ ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا، إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا^(٢)﴾.

عِبَادَ اللَّهِ:

إِنَّ حَالَ عِبَادِ الرَّحْمَنِ فِي أَمْوَالِهِمُ الْاِعْتِدَالَ فِي الْاِنْفَاقِ، فَلَا اِسْرَافَ وَلَا تَبْذِيرَ، وَلَا بُخْلَ وَلَا تَقْتِيرَ، وَالْقَصْدُ وَالْاِعْتِدَالُ فِي كُلِّ شَيْءٍ هُوَ مَنْهَجُ الْاِسْلَامِ وَدُسْتُورُهُ، وَلِذَلِكَ كَانَ الرَّسُولُ ﷺ يَسْأَلُ رَبَّهُ ذَلِكَ فَيَقُولُ: ((وَأَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْغَنَى وَالْفَقْرِ))، إِنَّ مِنْ فِقْهِ الْاِنْسَانِ وَبَصِيرَتِهِ الْاِقْتِصَادَ فِي أُمُورِهِ وَمَعِيشَتِهِ، وَقَدْ جَاءَ فِي الْاَثَرِ: ((مِنْ فِقْهِ الرَّجُلِ رِفْقُهُ فِي مَعِيشَتِهِ))، وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ عِنْدَهُمْ أَوْلَوِيَّاتٌ فِي اِنْفَاقِ الْمَالِ، وَهَذَا مِنْ الْقَصْدِ وَالْاِعْتِدَالِ، فَلَيْسَ مِنْ عِبَادِ الرَّحْمَنِ مَنْ اِسْرَفَ وَبَذَرَ، وَلَيْسَ مِنْهُمْ أَيْضًا مَنْ اَمْسَكَ وَقَتَرَ، وَلَيْسَ مِنْ عِبَادِ الرَّحْمَنِ مَنْ اَنْفَقَ مَالَهُ، وَنَسِيَ نَفْسَهُ وَعِيَالَهُ، وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: ((أَفْضَلُ دِينَارٍ يُنْفَقُهُ الرَّجُلُ دِينَارًا يُنْفَقُهُ عَلَى عِيَالِهِ))، ثُمَّ يَأْتِي فِي سَلْمِ الْاَوْلَوِيَّةِ بَعْدَ ذَلِكَ، الْاِنْفَاقُ عَلَى الْاَقْرَابِ وَالْجِيرَانِ، فَهَوْلَاءُ لَهُمْ حُقُوقٌ يَجِبُ أَنْ تُصَانَ، وَلَا يَحِلُّ أَبَدًا أَنْ تُهْدَرَ وَتَتَعَرَّضَ لِلنِّسْيَانِ، لِذَلِكَ أُعْطِيَ الْاِسْلَامُ مَزِيدًا مِنَ الْعِنَايَةِ وَالْاِهْتِمَامِ لِلْاِنْفَاقِ عَلَى ذَوِي الْقُرْبَى وَالْاَرْحَامِ، يَقُولُ الرَّسُولُ ﷺ: ((الصَّدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَعَلَى ذِي الرَّحِمِ اِثْنَتَانِ: صَدَقَةٌ وَصَلَةٌ))، وَأُعْطِيَ الْاِسْلَامُ الْعِنَايَةَ وَالْاِهْتِمَامَ لِلْاِنْفَاقِ عَلَى الْجِيرَانِ إِنْ كَانُوا فِي حَاجَةٍ، يَقُولُ الرَّسُولُ ﷺ: ((مَا آمَنَ بِي مَنْ بَاتَ شَبَعَانَ وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ))، وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ بِمَا عِنْدَهُمْ مِنْ وِفَاءٍ وَعَرْفَانٍ، يُسَهِّمُونَ بِأَمْوَالِهِمْ فِي سَدِّ حَاجَاتِ مُجْتَمَعِهِمْ وَوَطَنِهِمْ، فَإِذَا نَزَلَتْ أَوْ حَلَّتْ بِالنَّاسِ مُصِيبَةٌ، كَانَتْ أُرِيحِيَّةُ عِبَادِ الرَّحْمَنِ مِنْهُمْ قَرِيبَةً، فَهُمْ أَسْرَعُ النَّاسِ إِلَى تَخْفِيفِ النُّوَابِ، وَإِزَاحَةِ الْمَصَائِبِ، فَبِدَافِعٍ مِنْ شُعُورِهِمْ

(١) سورة الفرقان / ٦٤ .

(٢) سورة الفرقان / ٦٥-٦٦ .

الإيماني يعلمون العلم اليقين بأن تنفيس الكربات، وتخفيف الأزمات، واجب ديني وإنساني، ولذا فهم يعينون كل الناس على مختلف الألوان والأجناس، فإن أعانوا بمالهم فلأن المال مال الله، والناس عباد الله، فلينفقوا من ماله على عباده، إن عباد الرحمن يعلمون بأن المال خير ونعمة، وأن إضاعته شر وتقمة، فعندما بين الرسول ﷺ ما كرهه الله عز وجل قال: ((وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال))، إن كل صاحب مال إذا أراد أن يتشرف ليكون من عباد الرحمن؛ فعليته أن يعلم أن المال في يده ليس له وحده، بل هو للأمة كلها، فإذا ضيعه في غير حق فقد ضيعه على نفسه، وضيعة على الجماعة كلها، ومن سمات العاقل الرشيد، ذي الفكر السديد، وضع كل مال - وإن قل - في موضعه، فلا يبدد المال في الكماليات وهو في حاجة إلى الضروريات، وحتى إذا أنفق في الضروريات أو الحاجيات أنفق بمقدار؛ حتى لا يقع في مستنقع الديون وأحوالها، وتبعاتها وأثقالها، فالتوازن بين دخل الإنسان وخرجه وقاية له من العوز، وحماية له من الحاجة، وهذا شأن عباد الرحمن الذين قال الله تعالى في وصفهم: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾^(١).

أيها المسلمون:

إن من أهم صفات عباد الرحمن أنهم لا يعبدون غير الرحمن، ولا يستعينون في قضاء حوائجهم بسواه، وهم بدافع من إيمانهم بربهم لا يقتلون نفساً، ولا ينتهكون عرضاً، لعلمهم بأنها جرائم يستحق صاحبها أليم العذاب، ومر العقاب، وهذا ما عناه الله عز وجل بقوله: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا، يُضْعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْتَلِدُ فِيهِ مَهَانًا﴾^(٢)، ومن وقع في هذه الموبقات وغيرها وأراد أن يصحح مسيره، ويؤمن مصيره، فليعلم بأن باب التوبة مفتوح لمن أراده، وأمه وقصده، يقول الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا، وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَنْبُؤُا إِلَى اللَّهِ

(١) سورة الفرقان / ٦٧ .

(٢) سورة الفرقان / ٦٨-٦٩ .

مَتَابًا ﴿١﴾، وَمِنَ الْكَبَائِرِ الَّتِي نَزَّهَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ عَنْهَا أَيْضًا شَهَادَةُ الزُّورِ، إِذْ هِيَ مِنْ أخطرِ الْأُمُورِ، وَكَيْفَ يَقَعُ عِبَادُ الرَّحْمَنِ فِي حَمَاتِهَا، وَهُمْ يَعْلَمُونَ بِأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ نَهَى عَنْهَا أَشَدَّ النَّهْيِ وَأَبْلَغُهُ فَقَالَ: ((أَلَا أُنبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟ - قَالَهَا ثَلَاثًا -، قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعَقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَكَانَ مُتَكِنًا فَجَلَسَ - لِيَدُلَّهُمْ عَلَى أَهْمِيَّةِ مَا يَقُولُ - فَقَالَ: أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ، فَمَا زَالَ يُكْرِرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ؛ إِشْفَاقًا عَلَيْهِ))، وَكَمَا يَبْأَى عِبَادُ الرَّحْمَنِ بَأَنْفُسِهِمْ عَنِ شَهَادَةِ الزُّورِ؛ يَبْأُونَ بَأَنْفُسِهِمْ عَنِ الْجُلُوسِ فِي مَجَالِسِ الزُّورِ، وَهُمْ إِذَا مَرُّوا بِهَذِهِ الْمَجَالِسِ أَكْرَمُوا أَنْفُسَهُمْ عَنِ الْجُلُوسِ فِيهَا؛ لِأَنَّ عِنْدَهُمْ مَا يَشْغَلُهُمْ عَنِ اللَّغْوِ وَالْهَذَرِ، وَلَدَيْهِمْ مِنَ الْإِيمَانِ مَا يَحُولُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ إِحْدَاثِ أَيِّ ضَرَرٍ، لَقَدْ شَغَلَ هَؤُلَاءِ الْعُظْمَاءُ بِالْحَقِّ عَنِ الْبَاطِلِ، فَأَصْبَحَ كُلُّ هَمِّهِمْ فِعْلَ مَا يُحَقِّقُ لَهُمْ وَلِلْمُجْتَمَعِ نَفْعًا، وَدَفَعَ كُلُّ مَا يَجْلِبُ ضَرًّا، يَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ (٢).

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -، وَتَمَسَّكُوا بِمَا شَرَّفَكُمُ اللَّهُ بِهِ مِنْ إِيْمَانٍ، وَتَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِ عِبَادِ الرَّحْمَنِ؛ تَسَلَّمُوا وَتَظَفَّرُوا وَتَغَنَّمُوا.
أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يُغْفِرْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الْكَرِيمُ.

*** **

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ، يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، جَعَلَ مِنْ صِفَاتِ عِبَادِهِ التَّفَكُّرَ فِي مَخْلُوقَاتِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ، يَسِيرُ عَلَى نَهْجِ أَهْلِ النَّهْيِ وَالْحَجَا، مَنْ تَخَلَّقَ بِأَخْلَاقِهِ نَجَا، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

(١) سورة الفرقان / ٧٠-٧١ .

(٢) سورة الفرقان / ٧٢ .

اتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَاعْلَمُوا أَنَّ لِعِبَادِ الرَّحْمَنِ آذَانَ مُصْغِيَةً، وَقُلُوبًا وَاعِيَةً، فَمَنْ شَأْنُهُمُ التَّفَكُّرُ، وَمِنْ صِفَاتِهِمُ التَّذَكُّرُ، فَهُمْ إِذَا نَظَرُوا إِلَى آيَاتِ اللَّهِ التَّكْوِينِيَّةِ، وَقَرَأُوا أَوْ اسْتَمَعُوا إِلَى آيَاتِهِ التَّنْزِيلِيَّةِ؛ تَأَمَّلُوا وَتَدَبَّرُوا، فَاتَعَطُّوا وَاعْتَبَرُوا، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِأَنََّّهُمْ يُدْرِكُونَ إِدْرَاكًا وَاعِيًا مَا فِي عَقِيدَتِهِمْ مِنْ حَقٍّ، وَمَا فِي آيَاتِ اللَّهِ مِنْ صِدْقٍ، فَهُمْ لَيْسُوا كَالَّذِينَ لَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا، وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي شَأْنِ عِبَادِ الرَّحْمَنِ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾^(١)، فَلَنَكُنْ - عِبَادَ اللَّهِ - مُتَجَاوِبِينَ مَعَ آيَاتِ اللَّهِ الدَّالَّةِ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ، وَالنَّاطِقَةِ بِحِكْمَتِهِ وَقُدْرَتِهِ، وَلَنَعْلَمَ عِلْمَ الْيَقِينِ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ الْقُرْآنَ لِلتَّدَبُّرِ؛ فَلَنَتَدَبَّرْهُ، فَمَنْ تَدَبَّرَ تَأَثَّرَ، وَمَنْ تَأَثَّرَ عَمِلَ فَأَحْسَنَ وَأَجَادَ، وَأَفَادَ وَاسْتَفَادَ. وَمِنْ صِفَاتِ عِبَادِ الرَّحْمَنِ اهْتِمَامُهُمْ بِأُمُورِ أَسْرِهِمْ مِنْ أَزْوَاجٍ وَذُرِّيَّةٍ، فَهُمْ لَيْسُوا مَشْغُولِينَ بِأَنْفُسِهِمْ فَقَطُّ، بَلْ هُمْ حَرِيصُونَ عَلَى أَنْ يَمْتَدَّ الْخَيْرُ وَالهُدَى إِلَى مَنْ حَوْلَهُمْ، وَخُصُوصًا أَقْرَبَ النَّاسِ إِلَيْهِمْ، فَالْمُؤْمِنُ مِنْ عِبَادِ الرَّحْمَنِ، وَالْمُؤْمِنَةُ مِنْ عِبَادِ الرَّحْمَنِ، يُهْمُ كُلًّا مِنْهُمَا أَنْ يَهَبَهُ اللَّهُ زَوْجًا يُعِينُهُ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَفِعْلِ الْخَيْرِ، وَيَمْنَعُ عَنْهُ كُلَّ أَدَى وَضَيْرٍ، وَيَهْمُهُ كَذَلِكَ أَنْ يَكُونَ لَهُ ذُرِّيَّةٌ مِنْ أَوْلَادٍ وَحَفَدَةٍ، تَقَرُّ بِهِمْ عَيْنُهُ، وَالْعَيْنُ تَقَرُّ وَتَسْكُنُ حِينَ يَكُونُ الْأَوْلَادُ ذُكُورًا وَإِنَاثًا بَرَّةً صَالِحِينَ، يَعْرِفُونَ حَقَّ اللَّهِ وَحَقَّ الْأَبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ وَحَقَّ الْمُجْتَمَعِ عَلَيْهِمْ، فَلَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ إِلَّا الْقَوْلُ الْحَسَنُ الْجَمِيلُ، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ النَّبِيلُ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -، وَاعْلَمُوا أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْشَرَفَ بِأَنْ يَكُونَ مِنْ عِبَادِ الرَّحْمَنِ إِذَا تَخَلَّقَ بِأَخْلَاقِهِمْ، وَاتَّصَفَ بِصِفَاتِهِمْ؛ فَمَنْ أَرَادَ وَشَمَّرَ عَنْ سَاعِدِ الْجِدِّ؛ أَنْارَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقَهُ، وَيَسِّرَ لَهُ تَحْقِيقَهُ.

هَذَا وَصَلُّوا وَسَلَّمُوا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِينَ، وَقَائِدِ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ، فَقَدْ أَمَرَكَ اللَّهُ تَعَالَى بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ عَزَّ قَائِلًا عَلِيمًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(٢).

(١) سورة الفرقان / ٧٣ .

(٢) سورة الأحزاب / ٥٦ .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَسَلَّمْتَ عَلَى سَيِّدِنَا
إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ
عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ
خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنْ الْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلَا تَدْعُ فِينَا
وَلَا مَعَنَا شَقِيًّا وَلَا مَحْرُومًا. اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتَّقَى وَالعِفَافَ وَالعَنَى.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَرْزُقَ كُلًّا مِنَّا لِسَانًا صَادِقًا ذَاكِرًا، وَقَلْبًا خَاشِعًا مُنِيبًا، وَعَمَلًا صَالِحًا
زَاكِيًّا، وَعِلْمًا نَافِعًا رَافِعًا، وَإِيمَانًا رَاسِخًا ثَابِتًا، وَيَقِينًا صَادِقًا خَالِصًا، وَرِزْقًا حَلَالًا طَيِّبًا وَاسِعًا،
يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَوَحِّدِ اللَّهُمَّ صُفُوفَهُمْ، وَأَجْمِعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الْحَقِّ، وَاكْسِرْ
شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلَامَ وَالْأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزِّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا اسْقِنَا مِنْ فَيْضِكَ الْمَدْرَارِ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الذَّاكِرِينَ لَكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، الْمُسْتَغْفِرِينَ
لَكَ بِالْعَشِيِّ وَالْأَسْحَارِ. اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ،
وَبَارِكْ لَنَا فِي ثَمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وَكُلِّ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

رَبَّنَا لَا تُرْغِ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا، وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ.

رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ
قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ اللَّهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ

وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.